صحراء بين الاجرام

لا يأتي عيد الفصح عند النصارى حتى يكون هذا العدد من المقتطف بين أيدي قرائه، فيتذكرون آلام السيد المسيح وهو معلق على خشبة الصليب، ومن حوله لصان مصلوبان أيضاً. وكان الشعب واقفين يسخرون منه قائلين: خلص آخرين فليخلص نفسه ان كان هو المسيح مختار الله. وكان أحد المذنبين المصلوبين معه يجدف عليه قائلاً: إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا. فانتهره اللص الآخر قائلاً: ألا تخاف الله إذ أنت تحت الحكم بعينه. أما نحن فبعدل نال استحقاق ما فعلنا. وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله. ثم قال ليسوع اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك. فقال له يسوع: الحق أقول لك أنك اليوم تكون معي في الفردوس

وأما اللص الثاني فلما سمع يسوع يعني زميله بالفردوس في ذلك اليوم رام أن يصلح الحديث الذي جرى بينه وبين زميله ويستغفر عن التجديف الذي جدفه على المسيح. فقال لزميله. وحياة أبيك تشفع لي عند السيد لكي يسامحني ويأخذني معك الى الفردوس. فقال: اطلب أنت هذا منه رأساً فهو يجيب طلبك.

فقال: أخجل أن أطلب منه خيراً بعد أن أهنته. فقال لا تخجل فهو سامح كريم لا يحقد.

وعند ذلك سقوا يسوع خلاً وماءً وطعنه أحدهم بحربة. فقال يسوع: يارب اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما ذا يفعلون. فقال اللص الأول لزميله، أسامع أنت انه لا يحقد. أطلب منه فيغفر لك.

وفي تلك الساعة جاء قيافا الحاخام الأكبر الى أمام الصليب لكي يرى يسوع ويتشفى به فسمع اللصين يتناقشان فقال لهما: أتؤملان خيراً من هذا المصلوب؟

فقال اللص الأول: أجل سيأخذنا اليوم الى الفردوس.

فقال قيافا: أين الفردوس هذا.

أجابه : حيث لا تستطيع أن تذهب أنت .

فوجف قيافا وقال بصوت مشهدج : — لماذا ؟

فقال الاس : لأنك كبير المجرمين . كيف تستبرئ هذا القديس البار وهو يهودي مثلنا ولم يأت أمراً إدّاً . ما ضرّكم لو أبقيتم عليه وتقبّلتم تعاليمه وكلها حكم . إنها خيرٌ من توراتكم وتلموديكم . فلو تممتم عظاته وعملتم بها لكنتم من مملكته الآن وكنتم تحشرون الى الفردوس . ولكنكم خفتم منه على سلطتكم الزائفة .

فقال قيافا : وهو يضطرب : أتعتقد أنه ملك ؟

— بلا شك هو ملك اليهود . واليهود لا يستحقونه ، وقد أضاعوا فرصة لا تعود .

وكان قيافا ينتفض جزعاً وقال : بالله عليك اذا مضيت الى الفردوس هل يمكنك أن ترسل لنا الخبر اليقين عن هذا الفردوس . هل حقيقي هناك فردوس، أم أنه أقصوصة ملفقة ؟ وماذا هناك ؟

وهنا حدث زلزال الشقّ به حجاب الهيكل . فجزع قيافا أي جزع ورفع يديه الى المعلوين يستغيث ، فاذا هم قد أسلموا أرواحهم

وكان الوقت الظهر أو بعده بقليل . ومضى يسوع الى الفردوس وتحت ابطيه فراخا ذينك اللصين التائبين . ولا ريب انهم باتوا تلك الليلة في الفردوس . لأن الأرواح تنتقل الى عالمها الآخر بأسرع من ومضة النور . ولا ريب أن الفردوس في مكان وراء هذه العوالم المادية التي يقضي النور عشرة آلاف مليون سنة حتى يعبرها . ولكن الأرواح تصل إليها بوثبة واحدة . فلا تحسب حساباً للزمان ولا للمسافات ، ولا تقف في سبيلها عوالم مادية .

أجل يمكن للأرواح أن تفعل هذه المعجزة لأنها من طينة الوهم .

* * *

في تلك الليلة لم ينم قيافا من شدة الخوف ، لأن ضميره ضنّ عليه حراً عواناً بسبب أنه قتل ملك اليهود فلعن الله اليهود . ومن ذلك الزمن الى اليوم لم يزد عدد اليهود . ولم يقم لهم هيكل ، لأن الرب لا يزال غاضباً عليهم .

وفي تلك الليلة ظهرت روح اللص الأول لقيافا في غلس الليل فارتعد أي رعدة . فقال له اللص : لا تخف . لقد طلبت مني أن أخبرك عن الفردوس . نعم الفردوس هو مرتع النعيم والنعمة الأبرار . ولهذا لا يمكن أن تراه أنت . وبما وصفته لك لا تستطيع أن تتصوره . على أني مستعد أن أخبرك ما تشاء من أخبار الأرض منذ خلق الله الخليقة . أما الآن في نجم يبعد عنكم أربعة آلاف سنة نور . أعني أن النور الذي صدر من الأرض منذ ٤ آلاف

سنة يصل إليّ الآن حاملاً أشباح الحوادث التي حدثت حينئذٍ .

وكان قياقا ينتفض فرقاً فقال متهدج الصوت : بالطبع ترى الآن أمنا حواء . وأبانا آدم . هل ترى في حواء جمال اليهوديات، وسحر عيونهن وغمزاتهن .

أجاب الملاس : أجل أرى حواء عارية كنسائكن اليوم ولكنها لا تتخلع . أراها أمام شجرة التفاح وهي تتدلل على سيدنا آدم عليه السلام، وتقول له أريد تفاحة . فقال لها وأنا أريد تفاحة أيضاً ، ولكن التفاح حالٍ عليها ، فلا تصل أيدينا اليه . فقالت — سلامة عقلك . أين ذكاؤك ؟ ارفعني على كتفك .

فرفعها فقطفت تفاحتين . وفيما هما يأكلان « سمعا الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة . فنادى الرب آدم وقال له : أين أنت ؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان . فقال من أعلمك بأنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها ؟ فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت .

فصاحت حوّاء . كذاب . كذاب، هو قال لي أرفعك على كتفي كي تصل الى التفاح فتقطفي لي ولك .

وغضب الله عليهما فطردهما من جنة عدن . وأقام شرقي الجنة الكروبيم أي ملاكين وفي يديهما سيف لهيب متقلب لحراسة طريق الحياة .

وكان قياقا يرتجف فقال: أما رأيت الحيّة تخدع حواء .

— لا لم أرَ إلاّ رأس حيّة طالعاً من دماغ حواء وذيل حيّة نابتاً من أذن آدم ، ولكن الحيّة كما تعرفها لم أرَ .

وهل في الجنة بنك أو بورصة أو شيء كهذا ؟

— لا . لأنه لا فلوس في الجنة . ليس فيها إلاّ المعرفة والثمر .

لهذا لم يستطع آدم وحوّاء البقاء في الجنة . طالما لا مال في الفردوس . ليس في الفردوس تعب ولا شقاء ولا عمل لكي ينشئوا بنوكاً وبورصة . بل فيها راحة وهناء وسرور . ولذلك طردهما الله من الجنة لأنهما خالفا وصيته .

فتنهد قياقا وقال : إذن لا يؤسف على الجنة أسفاً عظيماً .

— ويحك: ألا تأسف على الراحة والهناء ، أو لا تهتم للشقاء والتعب خارج الجنة .

— لا ياسيدي لأن التعب للجويم (الأنجاس) غير اليهود. هؤلاء يتعبون واليهود ينعمون

— وفي الآخرة ؟ ألا تخافون من الجحيم .

— متى وصلنا هناك تُفرَّج . هذه شريعتنا .

— تعني شريعة التلمود .

* * *

واستأنف قياقا السؤال وقال : هل يمكنك أن ترى فلك نوح ؟

— أجل هذا يقتضي أن أتقدم الى النجم فرقد لكي أستقبل النور الصادر من الأرض منذ ٢٣٤٩ سنة حين حدث الطوفان لكي أبحث هناك عن نوح وفلكه . هه . ها أنذا أرى بحراً من الماء والسماء تصب فيه صبا . وقد غمر الغمر كل نجد بين الأنهر فيسون وجيحون وحدّاقل (الدجلة) والفرات . أصبحت أرض الحويلة وكل ما جوطها كأنها بحر يتصل ببحر فارس، وقد غمر أرض كوش والجزيرة (السورية) منظر غريب عجيب هائل .

— هل ترى فلك نوح الذي طوله ٣٠٠ ذراع وعرضه ٥٠ ذراعاً وارتفاعه ٣٠ ذراعاً

— وي . وي . في عصر نوح لا ترى فلكاً بطول ٣٠ ذراعاً فكيف بذلك ؟ لا أرى إلاّ زوارق أطولها عشرة أذرع وأرماثاً [1] كثيرة وكلها عند سفوح الجبال وعليها الناس هاربون من الفيضان . هذا فيضان عظيم لا طوفان .

— ولكن التوراة تقول فيضان وفلك نوح ٣٠٠ ذراع .

هذه « فشرة » من الذي كتب الأسطورة . والأسطورة ما انكتبت إلاّ بعد سبي نبوخذنصر بابل أي منذ ٦٠٠ سنة (ق م .) .

— يا هذا لا تجدف . الطوفان حدث . حدث الطوفان .

— لعله حدث من قبل ، من زمن بعيد . دعني أتراجع الى الوراء لكي أستقبل حوادث عريقة في القدم... هه . أرى ثلوجاً هائلة . تراجعت ١٥ الف سنة (ق.م) الى الوراء . هذا هو الذي سيسميه علماء المستقبل العصر الجليدي . أتراجع أيضاً عدة سنين فأرى الثلج يذوب . الأرض مغطاة بالماء الى سفوح الجبال .

فقال قياقا — هذا هو الطوفان — ابحث عن الفلك الضخم .

— حقيقة إنك غبي . وهل كان الانسان يعرف أن يبني سفينة منذ ١٥ الف سنة ؟ لا سفينة ولا فلك ولا ناس . الناس هربوا الى الجنوب حيث تقل الثلوج صاروا في أفريقيا

— يا خسارة ، كنت أود العثور على فلك نوح اذ لا بدّ أن يكون نوح قد عثر فيه كثيراً من ذهب الحويلة الذي يقال أنه جيد ، وكثيراً من الحجارة الكريمة كالعقيق وحجر الجزع كما روي في التوراة

(١) ارماث جمع رمث وهو خشب يضم بعضه الى بعض ويربط ثم يركب في البحر أو النهر

— أنت تتحسر على الفلك لما فيه من ذهب الحويلة لا على الأنفس التي ضاعت في الطوفان
فقال قيافا . الأنفس ؟ لا تخف ؟ « أرض تبلع وبطون تدفع » دعني من تأسيك الآن واخبرني أما ترك الاسرائيليون وراءهم شيئاً في مصر قبل أن يبرحوها ؟ انظر
فقال الفص : أصعد الى النجم العيوق لكي أشاهد خروج الاسرائيليين من مصر . جل . أرى شرذمة لا تزيد على ٣٠٠ نفر كباراً وصغاراً .
— ويحك . خرجوا من مصر ست مئة الف ماشٍ من الرجال ما عدا الاولاد . وصعد معهم لفيف كثير أيضاً مع غنم وبقر ومواشٍ وافرة جداً . كذا تقول التوراة — إذن فالذي تراه ليس خروج الاسرائيليين من مصر ، غيّر موقفك وانظر جيداً
— بلحظة واحدة أقدر أن أغير موقفي . أنا الآن في سنة ١٤٩١ (ق.م) منذ هذا اليوم وهي سنة الخروج بحسب نص التوراة — ها الاسرائيليون يأخذون من المصريين أمتعة فضة وذهب وثياباً . ها هم يهربون بها . ها هم عند فم الحيروث متجمعون لا يزيدون عن قطيع بشر قد يبلغون الخمس مئة . هه . ها هم . عند شاطىء البحر الأحمر وقد انحسر الماء بسبب الجزر . ها الجزر قد انتهى وشرع المد يمتد على الشاطىء . ولكن الاسرائيليين صاروا بعيدين .
— أنظر هل فرعون وجيشه وراءهم ؟
— لا فرعون ولا جيش فرعون . ولا فرعون دارٍ بخروجهم .
فتمتمت قيافا وقال : ارجع عد لفردوسك . لا ترى شيئاً ولا تعرف شيئاً . وإن كنت تعرف كما تدعي فروح الى جبل سينا وانظر هناك موسى يقدم اللوحين الحجريين للرب لكي يكتب وصاياه عليهما . وانظر هل شطب موسى الوصية الخاصة بالراعي لأنها غير موجودة في التوراة مع الوصايا العشر . هذه وصية مهمة لا يمكن أن يغفلها الرب .
لا أرى هناك سوى هرون يسبك بعض المعادن ليجعلها صنم عجل ، واليهود متجمعون حوله . وأما موسى فصعد الى الجبل ليختبىء من غضب الشعب .
— طيب ، أولا ترى موسى يصنع تابوتاً لكي يودع فيه اللوحين .
— قلت لك ، لا لوحان منحوتان ولا موسى يصنع تابوتاً . ها أنا أغير وصعي وأرى كل شيء في الجلة ، ها أنا ذا أرى اليهود يرحلون من هناك الى الشمال .
فاستشاط قياف وقال : عجباً عد الى الجبل وانظر الله يكتب على اللوحين الحجريين بأصبعه
— حقاً انك غبي . ألا تعلم ان الله لا يُرى ... لا موسى ولا الكهنة يرونه . وليس له أصابع يكتب بها . لعلك تعني يهوه رب الجنود . هذا ليس الله . ما يهوه إلا عسكري

لا يعرف يكتب : لا يعرف إلاّ أن يقتل .

فقال قياف سلماً . انتقل الى أورشليم وانظر هناك الملك سليمان يبني الهيكل . ألا ترى هناك تابوت العهد وقد صنعه سليمان بالذهب من الداخل والخارج وأودع فيه تابوت العهد

— أجل انتقل الآن الى النجم الجبار حيث يبني وبين أورشليم مدة ١٠١٠ سنين وأرى هيكل سليمان يبنى، وأرى صانعاً حاذقاً يحفر كلاماً على لوح من حجر. لملك تعني هذا

— ذاك حفر في طورسينا منذ سنة ١٢٥٠ ذاك هو الذي فيه الوصايا العشر .

— ولكن هذا الصانع يحفر الوصايا العشر وها هو قد أتمها ، وها هو يضعها في التابوت الجميل

فاستشاط قياف وقال : انك غشيم . لا ترى جيداً ، بل ما تراه الآن حدث في طورسينا منذ ١٢٥٠ سنة (ق.م).

— أنت لا تفهم الحقائق التي أنقلها لك كما حدثت وأنا أراها رأي العيان — ها نبوخذ ناصر يغزو أورشليم . وها أرميا ينقل تابوت العهد من الهيكل الى مغارة في جبل نبو لكيلا ينهبه نبوخذناصر .

— ربك ألا يمكنك أن تدلنا على تلك المغارة بالذات لكي نستخرج التابوت منها ونرى اللوحين الحجريين بأي لغة كتبا ونرى هل خط أصبع الله جميل ؟

فنهقه اللص وقال : يا مساكين أتطمعون باللوحين أم بالذهب الذي يغطي التابوت من الداخل ومن الخارج ، خشم . خاب فألكم . ما عاد ارميا من الجبل منذ ٥٨٦ بعد أن دفن التابوت في مغارة فيه حتى عاد اولئك الأنفار الذين كانوا معه يعاونونه ، ونبشوا المغارة واستخرجوا التابوت ، وكسروه وتقاسموا الذهب الذي فيه .

— واللوحان ؟

— كسروهما .

— واخسارتاه ، تبّاً لهم ، يكسرون شريعة الله وينهبون الذهب الذي يغلفها ، كيف عاقبهم الله يا ترى .

— كما سيعاقبك على صلبك ملك اليهود .

فرتعد قياف وقال : رحماك . لا تذكرني أن هو ملك اليهود الآن .

هو مع الله يشرح له حياتكم العظمى يا أولاد الأفاعي . أتستطيعون أن تهربوا من غضب الله .

في تلك الليلة مات قياف رئيس الكهنة هلعاً .

ويقال أن هذا الفص الفردومي بقي يتنقل بين الاجرام ويستقبل أشعاع الأرض الصادرة عنها مع موجات أنوارها، ويرسل أخبارها إلى من كان في الأرض على استعداد لاستقبالها. فكان كأنه صحفي يأتيك بأخبار الزمن الغابر كأنها أخبار اليوم. ويقال أن بعض مخاطبي الأرواح اتصلوا به وتلقوا منه اخبار سدوم وعمورة، وأيقونة جسم امرأة لوط الى عمود ملح، وبناء ابراهيم مذبحاً، وتقديم محرقة الرب، ووضع ابرهيم ابنه اسحق على الحطب لكي يحرقه، الى أن ناداه الرب ونهاه عن أن يحرقه. ثم خبر جليات الجبار وهو يضرب الفلسطيني بمقلاعه. الى غير ذلك من تذكيات الزمن القديم، فكان خير صحفي يروي الأخبار القديمة بأمانة وصدق كأنها حدثت اليوم.

ويقال ان « أديسون » المخترع العظيم اخترع قبل موته آلة كهربائية حساسة جداً تستطيع الأرواح السابحة في الأوقيانوس الأثيري أن تؤثر فيها. فاذا كانت الأرواح قد اطلعت قبل رحيلها من هذا العالم على سر هذه الآلة، وفهمت كيفية تركيبها وكيفية استعمالها، وكيفية تأثير الأرواح فيها من عالمها الأثيري يستطيع الأحياء الذين عندهم هذه الآلة أن يتفاهموا مع تلك الأرواح. وبالطبع ان الذين يفهمون هذه الآلة، ويعرفون كيف يستعملونها هم العمال في معمل أديسون والذين كانوا أعوانه في صنعها. ولا ريب أن أول روح يخاطبونها بهذه الآلة هي روح أديسون نفسه. وبعد ذلك يسلم أديسون المفتاح لصحفي الفردوس فيخبر العالم أخبار العالم الثاني أو العالم الكوني الذي يطوف فيه.

ما زلنا الى الآن ننتظر نبأ من أديسون، كما أن جمعية العلم العقلي الروحاني تنتظر من يستحضر روح هوديني الذي أودع عندها (عند الجمعية) علبة مختومة فيها ورقة كان هوديني قد كتب فيها جملة واقترح على أي دكتور روحاني أن يستحضر روحه ويسأله ما هي الجملة التي كتبها وأودعها في العلبة. حتى إذا صدقت الروح المستحضرة كانت روح هوديني بعينه. وحينئذٍ يأخذ الدكتور المحضّر الروح ٩٠٠ جنيه جائزة

الى الآن هذه الجائزة معروضة في الجمعية لمن يستطيع أن يكسبها. وستبقى الى الأبد حديث خرافة هو حديث الأرواح. وبث فكرة عالم الأرواح ومخاطبته بين عامة الشعوب يوسع حقل الخرافات. وبالتالي يكثر اخطارها وأضرارها.